جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2023 – 2024

المستوى : السنة الثالثة السداسي : الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: حلقات البحث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: طريقة التعامل مع المراجع الأجنبية في البحوث الأكاديمية2

طريقة التعامل مع المراجع الأجنبية في البحوث الأكاديمية2

نموذج الدراسة: مدينة المنصورة الأثرية
في كتابات المستشرقين الفرنسيين القرن العشرين

1 – فيكتور بيكي V.Piquet [19]

لم يقّدم هذا الكاتب الفرنسي في كتابه "حول المعالم الأثرية الإسلامية في بلاد لمغرب" الشيء الكثير عن مدينة المنصورة الأثرية على الرغم من أهّميتها واكتفى بذكر ظروف نشأتها، ثم تطرق باختصار شديد إلى الجامع باعتباره المبنى التاريخي الأكثر بروزا، وقّدم مخططا للمدينة[20].

2 – جاك بيرك J.Berque[21]

تناول بيرك في دراسته لمدينة المنصورة في كتابه "الجزائر أرض فن وتاريخ" بمقدمة مختصرة عن تاريخها، ثم انتقل إلى وصف معالمها التاريخية من الناحيتين المعمارية والزخرفية، واعتمد في بحثه على المعلومات التي وردت في بحوث بروسلار وبارجيس الذي

---

[19] - ولد فيكتور بيكي 1876، وله عدة دراسات من أهمها الحضارات في شمال إفريقيا، وإسبانيا الموريسكية، والمغرب الأقصى وسكان المغرب الأقصى..

[20] – V. Piquet : Autour des Monuments Musulmans du Maghreb, Ed Maisonnante,Paris 1948, p : 166

[21] - ولد جاك بيرك بفرندة (الجزائر) سنة 1910، وانتقل إلى الجزائر العاصمة ، وعندما بلغ سن العشرين سافر إلى باريس ليتابع دراسته في جامعة السو ربون، لكنه تركها بعد عامين فقط، وفي سنة 1934 أنهى الخدمة العسكرية الفرنسية بالمغرب واجتاز أثناء ذلك إمتحان المراقبة المدنية الذي أهله لشغل منصب حاكم في الإدارة، مما سمح له بالاحتكاك بالأرض والناس ومعايشة واقعهم، أظهر بيرك تمرده للسياسة الاستعمارية، لاسيما بعد نفي علال الفاسي، ومع بداية الحرب العالمية الثانية أمضى عما من التجنيد ، وعاد إلى مزاولة عمله كمراقب مدني في المغرب إلى أن شغل سنة 1945 منصبا كبيرا في القسم السياسي ، وفي سن 1953 غادر المغرب الأقصى، وقدم سنة 1955 أطروحة الدكتوراه عن سكساوة في جامعة السوربون، ثم سافر إلى لبنان ليشرف على معهد العربية الحديثة، وفي عام 1981 غادر التدريس.
وطوال مسيرته ترجم العديد من الكتب ووضع عشرات البحوث والدراسات ، ومن أشهر مؤلفاته العرب من الأمس والغد والإسلام أمام التحدي والمغرب بين الحربين...الخ. ينظر، سعيد اللاوندي، <<شيخ المستشرقين الفرنسيين جاك بيرك ظالما أو مظلوما>>، ص: 366-370، www.cmiesi.ma/acmiesi/file.

نقل عنه أسطورة انهيار الجزء الداخلي للمئذنة، وتوقّف عند الجامع ومئذنته فوصفهما وصفا معماريا وفنيا[22].

3 – جورج ووليام مارسيه [23] G et W. Marçais

لقد ولج الأخوان الأثريان مارسيه إلى موضوع المنصورة الأثرية في مؤلّفهما "المعالم التاريخية العربية بتلمسان" بمقدمة تاريخية أشارا فيها اعتمادا على عبد الرحمن بن خلدون إلى الظروف التاريخية التي أدّت إلى تأسيس المدينة، وذلك في عهدي السلطانين المرينيين أبي يعقوب يوسف (698 – 706هـ / 1299 – 1305م)، وحفيده أبي الحسن على (735 – 748هـ/ 1336 – 1447 م)، وهنا يؤكّدان أنّ المدينة كانت مؤقّتة، ففي نظرهما أنّ تلك العظمة التي أضفتها المصادر التاريخية وروايات الرحالة والمؤرّخين كانت نابعة من الازدهار والرخاء الذي عرفته المدينة في تلك الفترة، وليس من الانتشار والتطّور العمراني، إذ بقيت المدينة على شكل معسكر إلى غاية سنة 702هـ / 1301م، حيث شّيد السلطان المريني القصر والمسجد ثم المرافق العامّة الأخرى مثل الجامع والحمامات والمستشفي وغير ذلك من المرافق العمرانية الضرورية، وقبل هذا التاريخ لم تكن المدينة حسب نظرهما محاطة بسور.

بعد ذلك السرد التاريخي تناول الكاتبان الجامع الكبير بالدراسة والتحليل، واعتمدوا في ذلك على الصور والمخطّطات ودراسات السابقين لهما والحفائر التي أجريت في الموقع.

لقد أعطى الأخوان مارسيه اهتماما كبيرا للجامع ومئذنته ولا شك أنّ ذلك يعود إلى القيمة التاريخية والمعمارية والزخرفية التي يحملها هذان المعلمان الأثريان، فقاما بوصف

---

[22] – J. Berque : L'Algerie terre d'Art et d'Histoire Ancienne, Imp V.Hentz, Alger 1937 , pp : 185 -192.

[23] - نشأ جورج مارسيه في عائلة من الفنانين وعلماء، بدأ تعليمه في مدرسة الفنون الجميلة بباريس، وفي سنة 1902 انطلق في دراسة التاريخ والجغرافية في كلية الآداب برين الفرنسية ، وكان رساما وكاتبا قبل أن يكتشف الفن الإسلامي سنة 1902 أثناء سفره إلى تلمسان، حيث يشتغل أخوه وليام الذي كان يدرس في المدرسة الفرنسية الإسلامية.
معرب وأثري درس في المدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة، ثم صار أول من عهد إلي كرسي علم الآثار الإسلامية في كلية الآداب بجامعة الجزائر، وفي سنة 1929 صار مديرا لمتحف الآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة ، وفي 1939 تقلد منصب مدير معهد الدراسات الإستشراقية .، لقد ألف العديد من الكتب مهمة في تاريخ الفن الإسلامي. ينظر https//fr.Wikiedoa.org.
وليام مارسيه(1872-1956) مستشرق فرنسي اهتم باللغة العربية المغربية والأمازيغية ، كان طالبا في الحقوق برين الفرنسية قبل أن ينصب اهتمامه إلى اللغة الشرقية بباريس سنة 1894، فتعلم اللغة العربية المغربية والتركية والفاريسية ، ناقش رسالة الدكتوراه في الحقوق سنة 1898، فتحصل على شهادة من المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، توجه إلى شمال إفريقيا وشغل منصب محافظ في متحف الفن بتلمسان، ثم درس في المدرسة الفرنسية الإسلامية بتلمسان ثم في تاجزائر العاصمة سنة 1904، ثم مفتش تعليم الأهالي، وأخيرا مديرا للمدرسة العليا للغة العربية وأدابها بتونس سنة 1913.
عاد إلى فرنسا حيث اشتغل في مكتب أمور الأهالي بوزارة الحرب، قبل أن ينشئ كرسي للغة العربية المغربية بمعهد اللغات الشرقية الذي أداره من 1920 إلى 1927، وأكمل مساره المهني في الكوليج الفرنسي كأستاذ حتى سنة 1941. ينظر، https//fr.Wikiedoa.org.

الجامع ومئذنته وكل العناصر المعمارية المكّونة للجامع من مداخل ومحراب وأعمدة وتيجان...الخ، فبالنسبة للمئذنة فقد أفادانا بأعمال التقوية التي قامت بها مصلحة المباني سنة 1877م بتوجهات من ديتوا Duthoit.

لم يهمل المؤلفان البقايا الأثرية الأخرى فتطرّقا إلى سور المدينة بالتحليل الدقيق للسور والأبراج والمداخل المحورية، وهنا أرجعا بناء سور المدينة إلى عهد أبي الحسن المريني، ويؤكّدان وجود جدار يتقّدم السور من الجهة الشرقية ويستدلا في ذلك على بالبقايا الأثرية التي يمكن رؤيتها في تلك الجهة.

وفيما يخص القصر فيتّفقان مع الكتاب السابقين لهما على أنّ بناءه تّم في سنة 745 هـ / 1344 م، وذلك اعتمادا بطبيعة الحال على تيجان الأعمدة التي تّم العثور عليها في القصر الذي حّددا موقعه بالنسبة للمدينة.

لقد تّم تناول بالدراسة أيضا القنوات والسواقي التي من خلالها يتّم تموين المدينة بالمياه الضرورية، كما لم ينسيا القنطرة التي تقع مباشرة على بعد بضعة أمتار من مدخل المدينة الشرقي.

وأخيرا تطرّقا إلى المعالم التاريخية الأخرى مثل المصلّى والملعب وباب الخميس الذي يقع خارج أسوار المدينة[24].

يعّد الأخوان جورج ووليام مارسيه في نظرنا من الباحثين القلائل الذين كانوا دقيقين في معلوماتهم، وقد وقفنا على ذلك عند قيامنا بالعمل الميداني، حيث تحّققنا من صّحة الوصف والقياسات.

4 – الكسندر ليزين Alexandre lezine [25]

لم يقّدم ليزين عند تعّرضه لمدينة المنصورة في مقاله "مذكّرة حول الآثار التلمسانية" المنشور في وثيقة الآثار الجزائرية، لمحة تاريخية عن نشأة المدينة، بل قام بدراسة المصلى الذي اعتبره جزءا من مدينة المنصورة، ويخالف الأخوان مارسيه في تحديدهما لاتّجاه المصلى

[24] – G et W Marçais : Les Monuments Arabes de Tlemcen, Ed Albert Fontemoing, Paris 1962, pp : 192 – 201.

[25] - ولد ألكسندر ليزين سنة 1906، كان مهندسا رئيسيا للمعالم التاريخية بتونس ، وعليه أنجز العديد من الأعمال حول المعالم التاريخية القديمة بنفس البلد، كما أنجز بحوثا حول المعالم التاريخية افسلامية ، كان نشاطه في قرطاج يتمثل في البحث عن حمام انتونين Antonin وترميمها رفقة نوي ديفال وشارل بيكار جيلبيرسنة 1950، ومن أهم أعماله دراسة حول رباط سوسة والمنستير وبحث حول المهدية ...الخ، وتوفى سنة 1972. ينظر https://fr.wikipedia.org/wiki/Alexandre_L%C3%A9zine

نحو الجنوب الشرقي، حيث يرى أنّ هذا المبنى مغاير عن الجامع في اتّجاهه وبنائه، وذلك ما دفعه إلى الاعتقاد أنّ المصلى لم يبن في نفس تاريخ بناء الجامع، وقد لاحظ تشابها بينه وبين مصلّى مدينة تونس.

وفيما يخص الجامع فيستبعد وجود القّبة أو السقف الجمالوني الذي كان يغطّي الفضاء المرّبع الذي يتقّدم المحراب، فيخالف في ذلك طروحات الأخوين مارسيه في هذا الموضوع، وهنا يبرز أهّمية وضرورة إجراء تنقيب في هذا الفضاء للتحقّق من هذه المعطيات والكشف عن الدعامات الساندة لذلك السقف أو القّبة,

وفي وصفه للمئذنة يعتمد على المعلومات التي قّدمها ابن مرزوق الحفيد في كتابه المسند، حيث يتّفق معه في وجود بابين للمئذنة الأّول أصم يستغل كمخزن وأّما الثاني فيؤّدي إلى أعلى المئذنة، وفي بحثه للأصول المعمارية فيرجعها إلى منار سوسة الذي شّيد سنة 859م، حيث يرى أّنها تأثرت بدورها بلبتيس ماغنا، ويخالف ليزين بارجيس في كون مداخل الجامع مبنية بالحجر المنحوت، ويرى أّنها مبنية بالآجر، وتشبه في زخرفتها المصلى[26].

مّما لا شك فيه أنّ ليزين قد تحقّق من أرائه التي طرحها حول نوعية السقف الذي كان يغطّي الفضاء الأمامي للمحراب من خلال حفريات التي أجراها في الجامع سنة 1964م.

خاتمـة:

تعّد دراسات المستشرقين الفرنسيين لمدينة المنصورة الأثرية مأّدة توثيقية أرشيفية جّد مهّمة لما تتضّمنه من معلومات ومعطيات معرفية مفيدة للأثريين ومؤّرخي الفن، لا سّيما تلك البحوث التي تناولت بشكل مستفيض بعض معالم أثرية اختفت لم يعد لها أثر في الوجود لعوامل مختلفة عن الوجود، مثل القنوات والسواقي الناقلة للمياه والجسر، وتعّد البحوث التي أنجزها كّل من بروسلار والأخوان مارسيه وليزين في نظرنا من أهّم دراسات الفرنسيين حول مدينة المنصورة الأثرية، حيث تعتبر معلوماتهم في نظرنا دقيقة وعلمية وتنم عن الجدية في العمل.

ولكن لا بّد من توخي الحذر والحيطة عند التعامل مع هذه الدراسات الإستشراقية التي في أغلب الأحيان تحمل في طياتها معلومات خاطئة ليست بريئة، تهدف إلى الانتقاص من

[26] - A.Lezine : « Notes d'Archéologie Tlemcenienne », In Bulletin d'Archéologie Tlemcenienne, T1, Ed A .de Boccard Paris 1962, pp : 265 – 274.

مساهمة شعوب الضفة الجنوبية لبحر الأبيض المتوسط في الانجازات الحضارية، وما رواية سقوط الجزء الداخلي للمئذنة إلا دليلا لذلك، كما قد يمكن الاستشهاد في هذا الصدد على تلك الرواية التي نسجت حول بناء الجامع الجديد في الجزائر العاصمة (1660م)، حيث اعتبر المستشروقون أنّ العمل كان على يد معماري مسيحي، الذي أعطى لتصميم الجامع شكلا صليبيا، وتم إعدامه بعد انتهاء العمل وانتباه حاكم الجزائر أنذاك إلى هذه القضية.

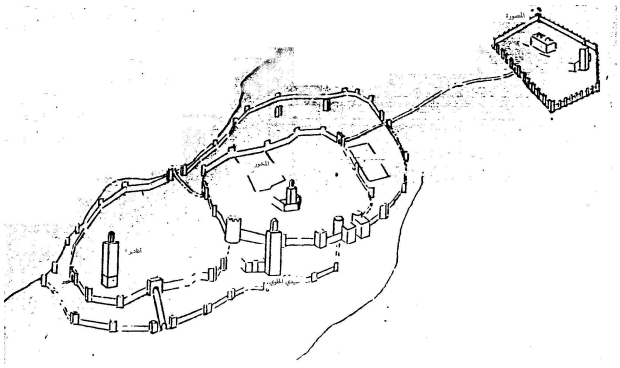

موقع منصورة من Google

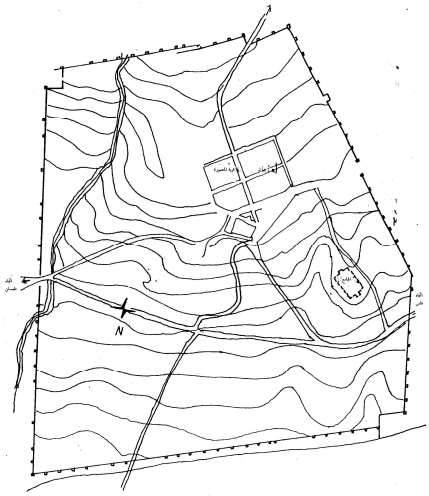

الشكل رقم 2 : مخطّط مدينة المنصورة
عن/....G.et W Marçais, Les monuments

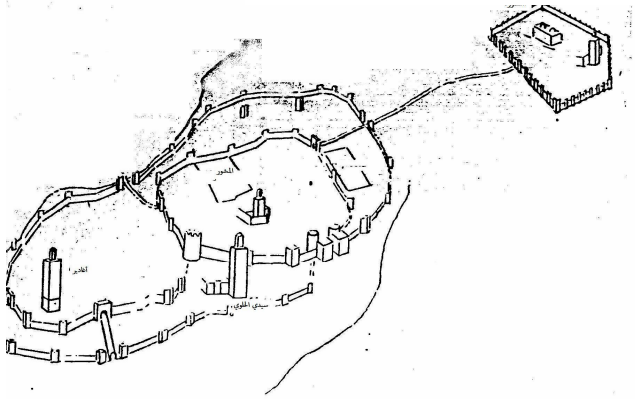

الشكل رقم 1: تلمسان والمنصورة في القرن 14م

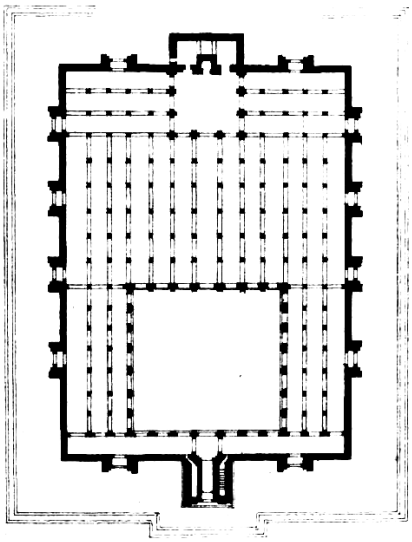

الصورة 2: منظر لمئذنة جامع المنصورة

الشكل 2: مخطط أفقي لجامع المنصورة
عن/ E.Duthoit ص:118

الصورة 3 : منظر لأسوار مدينة منصورة

الصورة 4: منظر لجامع منصورة ومئذنته

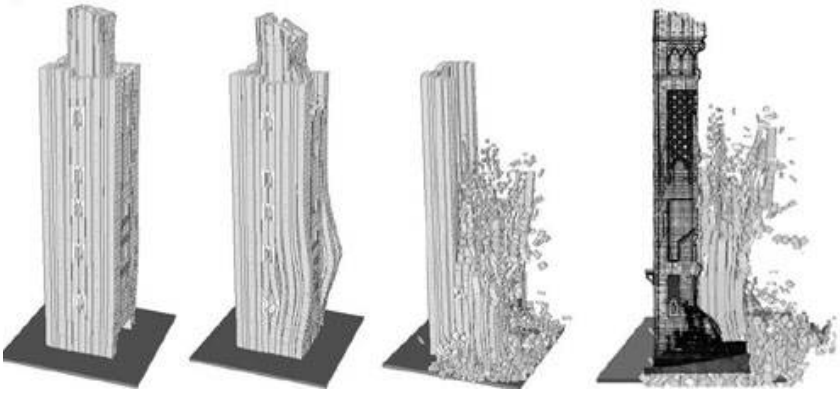

الشكل : تصور انهيار قسم من المئذنة

عن/ **Fouad Ghomari, p :17 http://www.archi-mag.com/essai_47.php**